القيود بين النحاة والبلاغيين

دكتور

إبراهيم صلاح الهدهد

أستاذ البلاغة والنقد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مدخل

لنا إلى تحديد المراد بالقيد إلا بضبط مفهوم الجملة عندنا ، وعند الغرب، وقد حشد التراث الإنساني تعريفات عدة للجملة. نستعرض فيها مفهوم الجملة عند الغرب القدماء؛ لأنهم أسبق تأليفا، ثم نستعرض مفهومها عند العرب، ثم نحدد مفهوم القيد لغة ونحوا وبلاغة ، ونوجز ما انتهى إليه البحث، ثم نحاول إرساء معالم منهج يتجه إلى إبصار بلاغة القيود، وقد جاء البحث ــ وفاء بهذا الغرض ــ في عدة محاور هي:

- ــ مفهوم الجملة عند الغرب .
- ــ مفهوم الجملة عند العرب .
- ــ القيد فى اللغة .
- ــ القيد عند النحاة .
- ــ القيد عند البلاغيين .
- ــ الخلاصة .
- ــ منهج دراسة بلاغة القيود .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مفهوم الجملة عند الغرب

يمثل مفهوم الجملة إشكالاً لدى القدماء والمحدثين من العرب وغير العرب منذ أفلاطون (ت ٣٤٧ ق . م) حتى عصرنا الحاضر .

تعريف الجملة بلغ أكثر من ثلاثمائة تعريف :

ـ فى عام (١٩٣١م) جمع (ريز) ١٤٠ تعريفاً .

ـ فى عام (١٩٣٥م) أضاف (زايدل) ٨٣ تعريفا فبلغت التعريفات ٢٢٣ تعريفا تقريبا .

ـ ومن ثم قال (فريز) (١٩٥٢م) إن تعريف الجملة بلغ أكثر من مائتى تعريف يختلف بعضها عن بعض .

ـ ثم ذكر (يونج) عام (١٩٨٠م) أن عدد تعريفات الجملة بلغ أكثر من ثلاثمائة .

* إن أقدم تعريف للجملة ذكره (ديونسيوس ثراكس) عالم الإسكندرية فى القرن الأول قبل الميلاد ، ومؤلف أقدم كتاب فى النحو الغربى ، وقد استغرق كتابه نتاج ٤٠٠ عام من الجهود اللغوية قبله :

(١) التعريف : " الجملة نسق من الكلمات يؤدى فكرة تامة "

وكان المقصود بالفكرة التامة الاكتمال المنطقى للخبر .

(٢) تعريف دى سوسير : هى النمط الرئيسى من أنماط التضامّ ، والتضامّ عنده يتألف دائما من وحدتين، أو أكثر من الوحدات اللغوية التى يتلو بعضها بعضا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٣) تعريف يسبرسن : هى قول بشرى تام ومستقل ، والمراد بالتمام والاستقلال عنده: أن تكون الجملة برأسها ، أو تكون قادرة على ذلك " .

(٤) تعريف بلو مفيلد : تمسك بفكرة الاستقلال ، وأسقط فكرة التمام؛ لاتصالها بالمعنى .

التعريف : الجملة شكل لغوى مستقل، لا يدخل عن طريق أى تركيب نحوى فى شكل لغوى أكبر منه .

(٥) تعريف فريز وليونز : الجملة هى الوحدة الكبرى للوصف اللغوى .

(٦) هرينجر : الجملة : هى أصغر قول مستقل "

الفرق بين الجملة النمط والجملة الواقعية .

عبارة : المبتدأ والخبر جملة اسمية : هذه جملة نمط تصف نموذج الجملة الاسمية .

عبارة : محمد قائم جملة اسمية : هذه جملة تمثل واقعا ([1])

(1) ينظر : نظام الجملة في شعر المعلقات ١٢ وما بعده د/محمود أحمد نحلة ، ط ، دار المعرفة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مفهوم الجملة عند العرب (١)

أولاً : من يفرّقون بين الجملة والكلام :

سيبويه (١٨٠هـ) لم يعرف الجملة ، وإن كان اللفظ قد ورد بمعناه اللغوى فى مواطن من كتابه، وقد تردد فى كتابه مصطلح الكلام بمعان مختلفة (الحديث ـ النثر ـ اللغة ـ الجملة) .(٢)

ابن جنى (٣٩٢هـ) استنبط تعريفا للجملة من قول سيبويه حيث قال :

" قال سيبويه : اعلم أنّ (قلت فى كلام العرب) إنما وقعت على أن يحكى بها ، وإنما يحكى بعد القول ما كان كلاما ، لا قولاً ، ففرّق بين الكلام والقول كما ترى ... ثم قال فى التمثيل نحو : قلت : زيد منطلق " ألا ترى أنه يحسن أن تقول : زيد منطلق ، فتمثيله بهذا يعلم منه أن الكلام عنده ما كان من الألفاظ قائما برأسه مستقلاً بمعناه ، وأن القول عنده بخلاف ذلك؛ إذ لو كانت حال القول عنده حال الكلام لما قدم الفصل بينهما ، ولما أراك فيه أن الكلام : هو الجمل المستقلة بأنفسها الغانية عن غيرها"(٣)

(1) أفدنا كثيرا من : نظام الجملة في شعر المعلقات ١٧وما بعدها د/ محمود أحمد نحلة.
(2) ينظر : الكتاب ١١٩/٣، ٢٠٨ ،بتحقيق عبد السلام هارون.
(3)الخصائص ١٨٠/١، ١٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما " يرى أن الكلام جنس للجمل التوام مفردها ومثناها ومجموعها ، كما أن القيام جنس القومات مفردها،ومثناها ومجموعها، فنظير القومة الواحدة من القيام الجملة الواحدة من الكلام "([1])

المبرد (٢٨٥هـ) : لعله أول من استعمل الجملة مصطلحا، حيث قال: ـ في المقتضب ـ " إنما كان الفاعل رفعا ؛ لأنه هو والفعل جملة يحسن السكوت عليها ، وتجب بها الفائدة للمخاطب ([2]).

ابن السراج (ت ٣١٦هـ) "والجمل المفيدة على ضربين : إما فعل وفاعل وإما مبتدأ وخبر. "([3])

ابن هشام :يرى:أن الكلام : هو القول المفيد بالقصد ، والمراد بالقصد: مادل على معنى يحسن السكوت عليه .

والجملة :عبارة عن الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره، وماكان بمنزلة أحدهما ، نحو : ضرب اللص ، أقائم عم الزيدان ـ كان زيد قائما.

وبهذا يتبين لك أنهما ليسا بمترادفين .

قال ابن هشام : "والصواب أن الجملة أعم من الكلام؛ إذ شرطه الفائدة بخلافها؛ ولهذا تسمعهم يقولون : (جملة الشرط ـ جملة الجواب ـ جملة الصلة) وكل ذلك ليس مفيدا ، فليس بكلام .

---

(1) السابق ٢٧/١.
(2) المقتضب ٨/١.
(3) الأصول لابن السراج ٧٠/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعد أن أورد ابن هشام قول الناس فى تحديدعدد الجملة فى الآية الكبيرة المكونة من عدة جمل "ثم بدلنا مكان السيئة ... إلى قوله :وهم نائمون)

قال ابن هشام: ولاينافى ذلك ما قدمناه فى تفسير الجملة ؛ لأن الكلام هنا ليس فى مطلق الجملة ، بل فى الجملة تفيد كونها جملة اعتراض، وتلك لاتكون إلا كلاما تاما ٠(١)

ثانياً : من لا يفرّقون بين الجملة والكلام :

الزمخشرى (٥٣٨هـ) يقول : الكلام هو المركب من اسمين كقولك زيد أخوك ، وبشر صاحبك أو فعل واسم، نحو قولك:ضرب زيدُ ، وانطلق بكر:ويعنى: الجملةَ ٠

ويشرحه ابن يعيش (٦٤٣هـ) قائلا:اعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ، ويسمى الجملة نحو : زيد أخوك، قام بكر، وهذا معنى قول صاحب الكتاب:المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى(٢)

وقد ذكر النحاة (النموذج اللغوى) والأمثلة التطبيقية عليه ، وليس أدل على ذلك من قول سيبويه : هذا باب المسند والمسند إليه،

(1) مغني اللبيب ٤٢/٢.
(2) شرح المفصل ١٨/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهما مالا يغنى واحد منهما عن الآخر، ولايجد الكلام منه بدا ، فمن ذلك الاسم: المبتدأ والمبنى عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك ، وهذا أخوك (١)

تنبيه : تفسير النحاة معنى الفضلة :

قال الأشمونى : "المراد بالفضلة: ما يستغنى عنه من حيث هوهو أى: من حيث ذلك اللفظ حال ، لا من حيث توقف المعنى عليه (٢)

تنبيه:ذكر النحاة أيضا مصطلح التركيب: قال الصبان فى عنوان (الابتداء)

هذا شروع فى الأحكام التركيبية ، والتركيب المفيد إما جملة اسمية ،ومنها اسم الفعل مع مرفوعه، والوصف مع مرفوعه المغنى عن الخبر، أو فعلية، ومنها الجملة الندائية ."(٣)

الخلاصة : أن الجملة : كل لفظ أفاد السامع فائدة يحسن السكوت عليها،وأصل الجملة الاستقلال بنفسها، والمفرد ليس كذلك.(٤)

قال الشهاب فى شرح الجرجانية: "اعلم أن الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة، فإذا أتلف منها اثنان فأفادا نحو:(خرج) يسمى كلاما،ويسمى جملة.(٥)

---

(1) ينظر : نظام الجملة في شعر المعلقات ٢١، الكتاب ٢٣/١، ٧٨/٢.
(2) شرح الأشموني ١٦٩/٢، والصبان عليه في الصفحة نفسها.
(3) حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٨٨/١.
(4) شرح الجرجانية ٣٥٤.
(5) شرح الجرجانية ٣٥٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القيـــد

القيد فى اللغة :

ـ حبل ونحوه يُجعل فى رجل الدابّة وغيرها ليمنعها من الحركة عن المكان المحدد لها .

ـ كل ما يمنع صاحبه من الحركة والفوات يعد قيدا .

قال ابن منظور: والعرب تكنى عن المرأة بالقيد والغُلّ ...وقيود الأسنان لثائها وقيدت الدابة: منعتها من الجرى ..."(١)

استخدام القيد فى كلام النحاة :

قال ابن عقيل: ـ فى تعريف العلم ـ هو الاسم الذى يعين مسماه مطلقاً،أى: بلا قيد التكلم أو الخطاب أو الغيبة ، وبلا قيد:أخرج بقية المعارف؛ كالمضمر فإنه يعين مسماه بقيد التكلم (أنا)أو الخطاب لـ (أنت) أو الغيبة لـ (هو).

وقالوا فى المفعول المطلق :وسمى مفعولا مطلقا لصدق المفعول عليه غير مقيد بحرف جر ونحوه بخلاف غيره من المفعولات؛ فإنه لا يقع عليه اسم المفعول إلا مقيدا كالمفعول به والمفعول فيه ، والمفعول معه والمفعول له .

(1) لسان العرب مادة (ق ي د)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال أيضا : تقدم من الفضلات : المفعول به والمفعول المطلق ، والمفعول له والمفعول فيه ، والمفعول معه والمستثنى والحال وبقى التمييز" .(١)

القيد فى الدرس البلاغي

حديث الإمام عبد القاهر عن القيود

"وأول ماينبغى أن يعلم منه أنه ينقسم إلى خبر هو جزء من الجملة لاتتم الفائدة دونه،وخبر ليس بجزء من الجملة ، ولكنه زيادة فى خبر آخر سابق له، فالأول :خبر المبتدأ.. والثانى :هو الحال ..وذاك؛ لأن الحال خبر فى الحقيقة من حيث إنك تثبت بها المعنى لذى الحال ، كما تثبت بخبر المبتدأ للمبتدأ ، وبالفعل للفاعل ، ألا تراك قد أثبت الركوب فى قولك : (جاءنى زيد راكبا) لزيد ، إلا أن الفرق أنك جئت به لتزيد معنى فى إخبارك عنه المجئ ،وهو أن تجعله بهذه الهيئة فى مجيئه ، ولم تجرد إثباتك للركوب ، ولم تباشره " (٢)

مصطلح القيد:

الشيخ عبد القاهر يصرح بالمصطلح :

تناول الشيخ لفظة (كل) كاشفا عن أنها تأتى قيدا،وتكون محطا للفائدة ، وأن النفى والإثبات يتوجه إليها : " فإذا قلت : رأيت القوم كلهم، ومررت بالقوم كلهم ،كنت قدجئت بـ (كل) لئلا يتوهم أنه قد بقى عليك

---

(1) شرح ابن عقيل

(2) دلائل الإعجاز ١٧٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من لم تره ، ولم تمرربه، وينبغى أن يعلم أنا لا نعنى بقولنا يفيد الشمول أن سبيله فى ذلك سبيل الشئ يوجب المغنى من أصله ، وأنه لولا مكان (كل) لما عقل الشمول ، ولم يكن سبق من اللفظ دليل عليه .. وإذ قد عرفت ذلك فها هنا أصل ، وهو أنه من حكم النفى إذا دخل على كلام ، ثم كان فى ذلك الكلام تقييد على وجه من الوجوه أن يتوجه إلى ذلك التقييد ، وأن يقع له خصوصا ، تفسير ذلك أنك إذا قلت : أتانى القوم مجتمعين كان نفيه ذلك متوجها إلى الاجتماع الذى هو تقييد فى الإتيان دون الإتيان نفسه .. وإذا كان هذا حكم النفى إذا دخل على كلام فيه تقييد ، فإن التأكيد ضرب من التقييد، فمتى نفيت كلاما فيه تأكيد ؛ فإن نفيك ذلك يتوجّه إلى التأكيد خصوصا، ويقع له"(١)

ثم بين أن الإثبات كالنفى فى ذلك ، وذلك أنك إذا قلت : جاءنى القوم كلهم كان (كل) فائدة خبرك هذا ، وبين أن ذلك أمر كائن فى كل قيد ، حيث قال : وجملة الأمر أنه ما من كلام فيه أمر زائد على مجرد إثبات المعنى للشئ إلا كان الغرض الخاص من الكلام والذى يقصد إليه ، ويزجى القول فيه "(٢)

القيود عند البلاغيين بعد عبد القاهر

يبين الشيخ أن فى القيود زيادة فى الفائدة ، وقد يكون القيد أصلا فى الفائدة، وقد تابع البلاغيون الشيخ فى هذا الأصل فى دراسة القيود .

(1) دلائل الإعجاز ٢٧٩.
(2) السابق ٢٨٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السكاكى يرى أن المراد من التقييد تربية الفائدة (١)

الخطيب : أن تقييد الفعل بمفعول ونحوه لتربية الفائدة ، وترك تقييده لمانع من تربية الفائدة (٢) وقد تابعه الشراح ونبهوا على أن كثرة الخصوصيات تقتضى كثرة القيود ، وكثرة القيود تقتضى كثرة الفوائد ، والحكم كلما زداد خصوصا ازداد غرابة ، وكلما كثرت غرائبه بكثرة القيود كثرت فوائده(٣)

تنبيه : اعترض العصام على كون التقييد بالمفعول به لتربية الفائدة ، ورأى أنه أصل فى الفائدة ، حيث قال : " ثم فى كون التقييد بالمفعول به لتربية الفائدة نظر ، بل يتوقف فهم الفعل عليه ، كتوقفه على الفاعل " (٤)

ويرد على ذلك بجريان حذف المفعول به فى البيان العلى المعجز،والبيان العالى النبوى ، والبيان البشرى .

(1) المفتاح للسكاكي ٢٠٩.
(2) تلخيص المفتاح للخطيب ٣١/٢.
(3) مختصر السعد ٤٦،٤٥/٢ ، عروس الأفراح ٣٣/٢ ، مواهب الفتاح ٣٣/٢، فيض الفتاح ٤٦،٤٥/٢.
(4) الأطول ١٧٣/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخلاصة

ـ أن الجملة فى حدها الأدنى مكونة من فعل وفاعل ـ ومبتدأ وخبر .

ـ القيد : هو ماعدا ركنى الجملة .

ـ أنواع القيود : (مفردات ـ حروف ـ جملة ـ جمل)

منهج فى دراسة القيود :

١ـ دراسة القيد من حيث دلالته اللغوية ، وذلك بإبصار الدلالة اللغوية للقيد، وكيف اصطفى لفظ القيد على سواه ، مما يقاربه لغة ، كأن يطرح سؤال فى القيد (ولاتعثوا فى الأرض مفسدين) (الأعراف / ٧٤) وأن نبصر الفرق بين مفسدين ومتلفين وارتباط ذلك بالسياق والمقام .

٢ـ دراسة القيد من حيث هيئته من تعريف وتنكير واصطفاء صيغة صرفية على أخرى كأن يحاول الكشف عن السرفى مجئ الحال فى الآية السابقة اسم فاعل بدل أن يكون فعلا .

٣ـ دراسة القيد من حيث موقعه، ولم جاء مؤخراً، وكان يمكن أن يقال : ولاتعثوا مفسدين فى الأرض ؟

٤ـ الكشف عن تناغم القيد موضوع البحث مع القيود الأخرى، والأركان فى التظاهر على بيان المعنى الخاص للآية والمعنى العام للسورة، والمعنى الأعم للذكر الحكيم كله ، فالذكر الحكيم كله سياق واحد .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner